التوكل على الله تعالى

«دراسة حديثية تحليلية»

إعداد

د . راشد بن سعد بن محمد العجمي

مرشد ديني- وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل-

دولة الكويت

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف النبيين وإمام المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإن الله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وخصه برسالةٍ خاتمة، وجعل هذه الرسالة قائمة على أصلين عظيمين، بهما قوام الدين وصلب الإسلام، كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

والسُّنَّة المطهرة في أهميتها وحاجة الناس إليها لا تقل أهمية عن القرآن الكريم، بل إنها مثله وَحْيٌ من الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]. وقال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»(١).

وقال حسان بن عطية(٢) رحمه الله: «كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ بالسُّنَّة كما كان ينزل عليه بالقرآن»(٣).

فالسنة المطهرة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، تفسر مُجْمَله، وتُبيِّن مُبْهَمَه، وتخصص عامَّه، كما أنها جاءت بأحكام كثيرة لم ينص عليها القرآن الكريم،

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن- كتاب السنة- باب لزوم السنة، حديث ٤٦٠٤ واللفظ له، وأخرجه ضمن حديث طويل من طريق معاوية بن صالح عن ابن أبي عوف الجرشي عن المقدام به، وهذا إسناد حسن؛ لأن معاوية بن صالح صدوق له أوهام كما قال ابن حجر في التقريب ص٥٣٨، وأخرجه الترمذي- كتاب العلم- باب ما نهي عنه، حديث ٢٦٦٤، وابن ماجه في المقدمة- باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، حديث ١٢ كلاهما من طريق الحسن بن جابر عن المقدام به، والحسن بن جابر مقبول كما في التقريب ص١٥٩، لكن تابعه ابن أبي عوف الجرشي الثقة كما سبق عند أبي داود، وقد حسَّن الحديث الترمذي، وصححه ابن حبان ١/ ١٨٩، والحاكم ١/ ١٠٩، وأقره الذهبي.

(٢) حسان بن عطية المحاربي مولاهم أبو بكر الدمشقي، ثقة فقيه عابد، مات بعد العشرين ومائة، وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ٢٣٦، سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٤٦٧، تقريب التهذيب لابن حجر ص١٥٨.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه ١/ ١٥٣.

ولكنها تتمشى مع قواعده العظام.

والنجاح كل النجاح إنما هو في اتباع سُنَّة الرسول ﷺ بامتثال أمره واجتناب نهيه، لأنه هو المُبَلِّغ عن ربه جل وعلا فيما رضيه للناس من أوامر وأحكام، وهو سبحانه العليم الخبير بخلقه.

فالسنة النبوية إذن لها مكانة كبيرة ومنزلة عظيمة في الإسلام، ولأجل هذه المكانة السامية للسنة النبوية الشريفة أمر الرسول ﷺ المسلمين بحفظها، وضبطها، والتفقه فيها، وتبليغها للناس، حتى يستقيم أمر الدين، ويُسْلِمَ الناس لرب العالمين، لذلك حثَّ الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة على ذلك، فعن زيد ابن ثابت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نَضَّرَ اللَّه امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يُبَلِّغَه، فَرُبَّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»[1]. فدعا الرسول ﷺ لكل مَنْ حفظ سنته بالنضارة والوضاءة، ودعاءُ الرسول ﷺ مستجاب.

وإن من أهم ما تناولته السنة النبوية بالبيان والإيضاح علاقة المسلم بربه جل وعلا فالنبي ﷺ رسم لنا منهجا نبويا واضحا لمن أراد أن يفوز بمرضاة الله في الدنيا والآخرة، وذلك بفعل المأمورات واجتناب المحظورات وأن يسدد ويقارب فيكون عند النعماء شاكراً، وعند البلاء صابراً، وبعد الذنب تائباً مستغفراً.

فبهذه الأمور تتحقق السعادة الحقيقية كما نص عليها الإمام القيم ابن القيم ﷺ فقال[2]: «وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه ولا ينفك

(١) أخرجه الترمذي- كتاب العلم- باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٢٦٥٧، وابن ماجه في المقدمة- باب من بلغ علمًا ٢٣٢ وغيرهم من حديث ابن مسعود بإسناد رجاله ثقات، صححه ابن حبان ١/ ٢٦٩، والحاكم ١/ ٨٨، ووافقه الذهبي.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص١١.

عبد عنها أبداً فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث».

ومن علامات المؤمن الصادق ما جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

قال ابن كثير عند هذه الآية[1]: «﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب؛ ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان».

أهمية الموضوع:

من سنن الله تبارك وتعالى في هذا الكون أن هذه الدنيا دار ابتلاء وتعب ونصب، بل الله ﷻ صرح في كتابه أنه خلق الموت والحياة لاختبار الإنسان وصقل إيمانه حتى يتبين الصادق من الكاذب كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢].

وأثناء الابتلاء تظهر شخصية العبد المؤمن وتبرز نسبة الإيمان عنده، فيجب على المسلم أن يتسلح بسلاح الإيمان حتى يكون قويًا صابرًا عند الأزمات؛ بل يكون كالنخلة لا تهزها العواصف والريح مهما كانت قوية، لأن العبد يرجو رحمة ربه ويخاف عقابه وقلبه معلق بربه.

سبب اختيار الموضوع:

تكمن مشكلة البحث أنه في فترة الحروب والأزمات تنصرف عقول المسلمين وقلوبهم إلى السلاح المادي والقوة العسكرية بل تبهرهم ويعلقون النصر عليها

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٢.

وينسون أو يتناسون السلاح المعنوي وهو السلاح الحقيقي، ألا وهو التوكل على الله ﷻ وقوة الإيمان به، ويعلمون علم اليقين أن النصر بيد الله ﷻ وأن أمره إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، ففيم الخوف والهلع ولماذا تتعلق القلوب بغير علام الغيوب، لذلك لزامًا أن أتطرق لهذا الموضوع المهم نصحًا لنفسي المقصرة، وكذلك لمن يقع في يده من إخواني المسلمين.

الجديد الذي سأضيفه:

جمعت الأحاديث المتعلقة بالتوكل والتي لها أثر كبير في غرس هذا الخُلُق في قلب المسلم لينتقل بسببها من الناحية النظرية العلمية إلى التطبيقية العملية وهو الأصل والهدف من تعلُّم هذه الأخلاق القيّمة فيرتقي بسببها ويقوى إيمانه فيرضى بما قسم الله له وهو منشرح الصدر راضيًا بقضاء الله وقدره.

منهج البحث هو الاستقرائي ومن مفرداته -

١- عزوت الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢- إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فأكتفي بالعزو له دون غيره من المراجع، وذلك بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة.

٣- أما إذا كان الحديث في غير الصحيحين، فإن كان في السنن الأربعة فأكتفي بالعزو لها، وإن كان خارج السنن، فأخرجه من مصدره الأصلي، ومع ذلك أدرس إسناد الحديث وأعطي الحكم المناسب له مع الحرص على ذكر من حكم عليه من الأئمة.

٤- شرحت الكلمات الغريبة الواردة في البحث.

٥- عزوت الأقوال إلى قائليها من مصادرها الأصلية.

حدود البحث:

جعلت حدود البحث في نطاق الكتب الستة، ولا يمنع من الاستشهاد بغيرها

إذا دعت الحاجة لذلك، وقد فرقت الأحاديث على أبواب ومباحث تناسب المقصود.

خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة:

المقدمة: وفيها:

- أهمية الموضوع.
- سبب اختيار الموضوع.
- الجديد الذي سأضيفه.
- منهج البحث.
- حدود البحث.

الفصل الأول: التوكل وما يتعلق به.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : تعريف التوكل وبيان حقيقته ومنزلته.

المبحث الثاني : أهمية التوكل.

المبحث الثالث : أقسام التوكل.

المبحث الرابع : الأسباب وعلاقتها بالتوكل.

المبحث الخامس: أمور لا تنافي التوكل.

المبحث السادس: ثمرات التوكل.

الفصل الثاني: تطبيقات عملية لمقام التوكل على الله.

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول : حث الرسول صلى الله عليه وسلم على التوكل.

المبحث الثاني : صور من توكله ﷺ.

المبحث الثالث : صور من توكل الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الرابع : صور من توكل الصحابة رضوان الله عليهم.

المبحث الخامس: اهتمام السلف الصالح بالتوكل على الله.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات، والفهارس، وثبت المراجع.

والله أسال أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

التوكـل وما يتعـلق به

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : تعريف التوكل وبيان حقيقته ومنزلته.

المبحث الثاني : أهمية التوكل.

المبحث الثالث : أقسام التوكل.

المبحث الرابع : الأسباب وعلاقتها بالتوكل.

المبحث الخامس: أمور لا تنافي التوكل.

المبحث السادس: ثمـرات التوكل.

المبحث الأول

تعريف التوكل وبيان حقيقته ومنزلته

أولاً: تعريف التوكل:

أ – اللغوي: التوكل من مادة وَكَل، يقال وَكَل بالله وتوكل عليه واتّكل: استسلم له.

وقال الراغب الأصفهاني: «والتوكل يقال على وجهين، يقال توكلت لفلان بمعنى توليت له، ويقال وكّلته فتوكّل لي، وتوكلت عليه بمعنى اعتمدته»(١).

وقال الزبيدي: «التوكل إظهار العجز والاعتماد على الغير هذا في عُرف اللغة»(٢).

وقال ابن منظور: «يقال توكل الأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه»(٣).

ب- الاصطلاحي: (فنظرًا لكونه تعبيرًا عن حال من أحوال القلب التي يصعب ضبطها بحد، فقد تنوعت تفسيرات العلماء.

ومن أسباب هذا الاختلاف أن أحوال وأعمال القلوب يصعب ضبطها، لذلك) قال الغزالي عن التوكل: «التوكل منزل من منازل الدين، ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين، وهو في نفسه غامض من حيث العلم، ثم هو شاق من حيث العمل»(٤).

ومن أهم هذه التفسيرات ما يلي:

(١) المفردات في غريب القرآن، ص٥٤٦.
(٢) تاج العروس ٣١/ ٩٨.
(٣) لسان العرب ١١/ ٧٣٤.
(٤) الإحياء ٦/ ٢٣٢.

١ – قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الثقة بالله.

٢ – وقال الإمام أحمد: هو قطع الاستشراف باليأس من الخلق.

٣– وقال عبد الله بن داود الخريبي: أرى التوكل حسن الظن بالله.

٤ – وقال ابن رجب: هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها(١).

٥ – وقال ابن حجر: وقيل هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب(٢).

٦ – وقال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: هو إسناد العبد أمره إلى الله وحده لا شريك له في جميع أموره الدينية والدنيوية(٣).

٧– ولعل أقرب التعريفات التي يمكن أن تجمع الجزئيات السابقة أن يقال في تعريفه: هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فيوجب له اعتمادًا عليه، وتفويضًا إليه، وطمأنينة به، وثقة به، ويقينًا بكفايته لما توكل عليه فيه(٤).

ثانيًا: (درجاته)

سماها ابن القيم رحمه الله(٥) درجات، وهي:

– الأولى: معرفة الرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته، واليقين بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك.

– الثانية: إثبات الأسباب ورعايتها والأخذ بها، فلا يستقيم توكل العبد إلا

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص٤٣٥.
(٢) فتح الباري ٣/ ٤٤٩.
(٣) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، ص٦.
(٤) التوكل على الله، د. عبد الله الدميجي، ص٢٢.
(٥) مدارج السالكين ٢/ ١١٧ بتصرف؛ وكتاب التوكل للدميجي، ص٢٢.

بإثبات الأسباب لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه، وقد فهم بعض المتصوفة أن إثبات الأسباب يقدح في التوكل وأن نفيها من تمام التوكل (وهذا باطل).

- **الثالثة:** رسوخ القلب في مقام التوحيد؛ فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل.

- **الرابعة:** اعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه إليه وطمأنينته به والثقة بتدبيره كما قال بعض العارفين: المتوكل كالطفل لا يعرف شيئًا يأوي إليه إلا ثدي أمه، كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه.

- **الخامسة:** حسن الظن بالله ﷻ، فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله، ولذلك قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي»[1]، وقال رسول الله ﷺ قبل وفاته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى»[2].

والتحقيق: أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به.

- **السادسة:** استسلام القلب له وانجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعته، وهذا هو معنى تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى.

- **السابعة:** التفويض، وهو روح التوكل ولبّه وحقيقته وهو إلقاء أموره كلها

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري- في صحيحه- كتاب التوحيد- باب قوله تعالى: «ويحذركم الله نفسه» ٩/ ١٢١، ح٧٤٠٥، وأخرجه مسلم- في صحيحه- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب الحث على ذكر الله، ٤/ ٢٠٦- ح٢٦٧٥.

(٢) رواه مسلم- في صحيحه- كتاب الجنة- باب الأمر بحسن الظن بالله، ٤/ ٢١٦٦، ح٢٨٧٧.

إلى الله، وهذا ما فسره به الإمام أحمد وغيره. فالتفويض براءة وخروج من الحول والقوة وتسليم الأمر كله إلى مالكه ﷻ، قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ثم عقب بجزاء هذا التفويض فقال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر: ٤٤، ٤٥].

«قال الشيخ عبد الرحمن سعدي ﷺ معلقًا بعد هذه الآية: «أي ألجأ إليه وأعتصم وألقي أموري كلها لديه وأتوكل عليه في مصالحي ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم، ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أي وقى الله القوي الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق عقوبات ما مكر فرعون وآله له من إرادة إهلاكه وإتلافه فحفظه الله من كيدهم ومكرهم»[1]».

- **الثامنة:** الرضا وهو ثمرة التوكل، وذكر شيخ الإسلام أن الرضا والتوكل يكتنفان المقدور، فالتوكل قبل وقوعه والرضا بعد وقوعه[2].

وكان شيخنا يقول: المقدور يكتنفه أمران: التوكل قبله والرضى بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل، ورضي بالمقضي له بعد الفعل، فقد قام بالعبودية.

قلت: وهذا معنى قول النبي ﷺ في دعاء الاستخارة: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فهذا توكل وتفويض.

ثم ختم كلامه بقوله: «فباستكمال هذه الدرجات الثمان يستكمل العبد مقام التوكل وتثبت قدمه فيه وهذا معنى قول بشر الحافي: يقول أحدهم: توكلت على الله يكذب على الله، لو توكل على الله لرضي بما يفعله الله به.

وقول يحيى بن معاذ وقد سُئل: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلا»[3].

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٧٣٨.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٧.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ١٢٣ بتصرف يسير.

وقد قرن الله بينهما بقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ... ﴾ [التوبة: ٥٩].

ثالثًا: منزلته من العقيدة:

من المعلوم أن أعمال القلوب منزلتها من الإيمان أنها هي الأصل، وأعمال الجوارح تابعة لها، كما قال سعيد بن جبير رحمه الله: التوكل جماع الإيمان[١].

وقال سفيان بن عيينة: جماع الإيمان التوكل على الله، وتفسير التوكل أن يرضى بما فُعِل به[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهو من لوازم الإيمان ومقتضياته قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣] فجعل التوكل شرطًا في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل، وفي الآية الأخرى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٢] دليل على استدعاء الإيمان للتوكل وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل»[٣].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: التوكل عمل القلب[٤].

التوحيد هو أساس التوكل وقاعدته الصلبة التي يقوم عليها، لذلك فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصلح له توحيده بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول[٥].

(١) انظر: مصنف بن أبي شيبة ١٠/ ٣٥٣، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٤/ ٢٧٤، ومجموع = = الفتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/ ٥٥٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٣٢٥، وتهذيب الكمال للمزي ١٠/ ٣٦٤.

(٢) انظر: الحث على التجارة والصناعة لأبي بكر الخلال، ص١٢٨.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ١/ ٣٨٦.

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٤٣٨. وذكر العبارة ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٨٢.

(٥) التوكل للدميجي، ص٦٠.

المبحث الثاني

أهمية التوكل

ذكره الله تعالى في خمس وعشرين آية من القرآن الكريم موزعة على اثنتين وعشرين سورة، بين أمر بالتوكل أو ثناء على المتوكلين، ولعلنا في هذه العجالة نلقي الضوء على بعض الصور المبينة لأهمية التوكل في دين الإسلام[١]، ومنها:

أولاً: اقترانه بمراتب الدين الثلاث (الإيمان والإحسان والإسلام) وشعائره العظام:

ومن ذلك:

(١) كونه شرطًا للإيمان ولازمًا من لوازمه،فقد تقدم أن التوكل هو جماع الإيمان، لكننا عند استعراضنا لآيات القرآن العظيم نجد أن الله تعالى قد جعله شرطًا من شروط تحقيق أصل الإيمان كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [الملك: ٢٩] فربط بين التوكل والإيمان.

(٢) كونه شرطًا للإسلام، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [يونس: ٨٤-٨٥].

(٣) كونه له علاقة بالإحسان، فيمكن استنباط ذلك من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]. قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: في الآية وصف المؤمنين حقًا بثلاث مقامات من مقامات الإحسان وهي الخوف وزيادة الإيمان والتوكل على الله وحده..[٢].

(٤) التوكل والتقوى، ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣] أي كافيه فجعل التوكل

(١) كتاب التوكل للدميجي، ص٦٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٤٤٠.

سببا للكفاية.

قال أبو بكر المروذي: «قيل لأبي عبد الله (الإمام أحمد): أي شيء صدق التوكل على الله ﷻ؟ فقال: أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء، وإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلاً»[1].

(٥) التوكل والصبر، نجد أن الله قد قرن بين التوكل والصبر في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨-٥٩].

قال ابن سعدي في معنى الآية: «الذين صبروا على عبادة الله، وعلى ربهم يتوكلون في ذلك. فصبرهم على عبادة الله، يقتضي بذل الجهد والطاقة في ذلك، والمحاربة العظيمة للشيطان الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك، وتوكلهم يقتضي شدة اعتمادهم على الله، وحسن ظنهم به أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال ويكملها، ونص على التوكل وإن كان داخلاً في الصبر لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك مأمور به ولا يتم إلا به»[2].

ثانيًا: أمر الله به نبيّه ﷺ والأنبياء قبله:

مما يدل على أهمية التوكل الأمر الصريح للنبي ﷺ بالتوكل عليه في تسعة مواضع من القرآن الكريم وفي ذلك أمر لعباده المؤمنين بالتبع، من ذلك قوله تعالى في حق محمد ﷺ: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٦١].

وكذلك وصى أنبياءه، من ذلك قوله تعالى عن هود عليه السلام: ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ

(١) انظر: الحث على التجارة والصناعة للخلال، ص١٢٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٦٣٤.

رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦].

ثالثًا: جعله شعارًا لعباده المؤمنين وأثنى عليهم به:

حيث ورد قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ في سياق المدح والثناء في سبعة مواضع في سورة آل عمران في موضعين [١٢١، ١٦١]، وفي المائدة آية رقم [١١]، والتوبة آية [٥١]، وإبراهيم [١١]، والمجادلة [١٠]، والتغابن [١٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى: ٣٦].

قال الطبري رحمه الله: في تفسير تلك الآية وما عند الله للذين آمنوا به، وعليه يتوكلون في أمورهم، وإليه يقومون في أسبابهم، وبه يثقون، خير وأبقى مما أوتيتموه من متاع الحياة الدنيا»[1].

وقال القرطبي رحمه الله: «نزلت في أبي بكر الصديق حين أنفق جميع ماله في طاعة الله فلامه الناس»[2].

رابعًا: ضرورته للعبد وعدم استغنائه عنه طرفة عين[3]:

وذلك من عدة وجوه:

(١) من جهة فقر العبد وعدم ملكه شيئًا لنفسه فضلاً عن غيره من المخلوقين، ولذلك نجد أكمل الخلق ﷺ يقول له الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥].

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٥٤٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٥، وتفسير النسفي ٤/ ٨٨.

(٣) التوكل على الله، للدميجي، ص٩٠.

(٢) من جهة كون الأمر كله بيد الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧].

(٣) من جهة أن تعلق العبد بما سوى الله مضرة عليه، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٥٥].

(٤) من جهة أن اعتماده على المخلوق وتوكله عليه يوجب له الضرر من جهته عكس ما أمّله منه، وهذا ثابت بالقرآن والسُّنَّة كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم:٨١-٨٢]، وقال ﷺ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مُزْعة لحم»[1].

(١) رواه البخاري- في صحيحه- الزكاة- باب من يسأل الناس تكثرًا، ٢/ ١٢٣، ح١٤٧٤.

المبحث الثالث

أقسام التوكل

التوكل ينقسم بحسب المتوكل عليه إلى قسمين: توكل على الله، وتوكل على غيره، وتحت كل قسم من هذين القسمين أنواع:

أولاً: التوكل على الله:

وهذا ينقسم بحسب موضوعه إلى أربعة أقسام:

(١) توكل على الله باستقامة نفسه وهدايتها والالتزام بدين الله ظاهرًا وباطنًا.

(٢) توكل على الله في استقامة النفس، بالإضافة إلى التوكل عليه في إقامة دين الله في الأرض، ودفع الفساد، وقمع البدع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا توكل الأنبياء وتوكل ورثتهم من بعدهم من العلماء، وهذا أعظم أنواع التوكل وأنفعها.

(٣) توكل على الله في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية؛ كمن يتوكل في حصول رزق أو عافية أو زوجة أو ولد... الخ.

(٤) توكل على الله في جلب محرم أو دفع مأمور به، فهناك من يتوكل على الله في حصول الإثم والفواحش، فإن أصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالبًا إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه، بل قد يكون توكلهم أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات، ولهذا يلقون أنفسهم في المتالف والمهالك معتمدين على الله أن يسلمهم[1].

ثانيًا: التوكل على غير الله:

وهذا النوع ينقسم إلى قسمين:

(١) التوكل الشرعي وهو نوعان

أ- التوكل على غير الله تعالى في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ؛ كالذين

(١) التوكل على الله، للدميجي، ص١٥٥.

يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق، ، فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى، ويسمى هذا النوع توكل السر؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفًا سريًا في الكون، ولا فرق بين أن يكون نبيًا أو وليًا أو طاغوتًا عدوًا لله تعالى.

ب- التوكل على غير الله في الأمور التي يقدر عليها فيما يظن المتوكل عليه وهذا شرك أصغر، وذلك كالتوكل في الأسباب الظاهرة العادية كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذى ونحو ذلك فهذا شرك خفي، ولذلك قيل الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه.

(٢) الوكالة الجائزة، وهي أن يوكل الإنسان في فعل مقدور عليه فيحصل للموكل بذلك بعض مطلوبه.

والوكالة في الشرع إقامة الشخص غيره مقام نفسه مطلقًا أو مقيدًا.

والوكالة بهذا المعنى جائزة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ [يوسف: ٨٧]، ووكل رسول الله ﷺ عمالاً وحفاظًا، قال أبو هريرة رضي الله عنه «وكّلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان...» [(١)].

لكن ليس له أن يتوكل عليه وإن وكّله، بل يعتمد على الله تعالى في تيسير ما وكّله فيه[(٢)].

(١) رواه البخاري- في صحيحه- كتاب الوكالة- باب وكالة المرأة الإمام في النكاح، ٣/ ١٠٠، ح٢٣١٠، وأيضًا ح٣٢٧٥ و ح٥٠٠٨.

(٢) التوكل للدميجي، ص١٦٠.

المبحث الرابع

الأسباب وعلاقتها بالتوكل

قيام الجوارح بالأسباب واعتماد القلب على مسبب الأسباب ﷻ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، وهو الحق الذي دلت عليه النصوص الشرعية والدلائل العقلية، وهو المذهب الوسط بين طرفين، حيث جمع أطراف الحق من كل مذهب فأثبت للأسباب تأثيرًا في مسبباتها لكن لا بذاتها بل بما أودعه الله تعالى فيها من القوى الموجبة، وهي تحت مشيئته وقدرته، فإن شاء منع اقتضاءها، وإن شاء جعلها مقتضية لضد أحكامها، وإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه.

قال ابن القيم: فالموحد المتوكل لا يلتفت إلى الأسباب بمعنى أنه لا يطمئن إليها ولا يرجوها ولا يخافها فلا يركن إليها ولا يلتفت إليها بمعنى أنه لا يسقطها ولا يهملها ويلغيها بل يكون قائمًا بها ملتفتًا إليها ناظرًا إلى مسببها سبحانه ومجريها فلا يصح التوكل شرعًا ولا عقلاً إلا عليه سبحانه وحده[(١)].

والآن نشير إلى بعض أدلة أهل السنة والجماعة في وجوب الأخذ بالأسباب وعدم منافاتها للتوكل:

أولاً: من القرآن:

(١) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [النساء: ٧١] وهذا أمر باتخاذ الأسباب.

قال أحمد الفاسي رحمه الله: «و ﴿ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ مهم بالعُدَّة والعَدَد، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، ولا حجة فيها للقدرية، لأن هذا من الأسباب التي ستر الله بها أسرار القدرة»[(٢)].

(١) مدارج السالكين ٣/ ٥٠٠.

(٢) انظر: البحر المديد ٢/ ٩٥.

وقال السعدي رحمه الله: «يأمر الله عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين، وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب التي يستعان على قتالهم ويستدفع مكرهم وقوتهم، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾»[1].

(٢) وقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

(٣) وقوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾[البقرة: ١٩٧].

قال ابن أبي حاتم: «عن عكرمة قال: أن ناسًا كانوا يحجون بغير زاد فأنزل الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى»[2].

«ومما يؤيد هذا في الجملة ما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل اليمن يحجّون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون فإذا قدموا المدينة سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾»[3].

وقال ابن حجر معلقًا على الحديث: «قال المهلب في هذا الحديث من الفقه: أن ترك السؤال من التقوى ويؤيده أن الله مدح من لم يسأل الناس إلحافًا فإن قوله ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ أي تزودوا، واتقوا أذى الناس بسؤالكم إياهم والإثم في ذلك، وفيه أن التوكل لا يكون مع السؤال»[4].

ثانيًا: من السنة: النصوص كثيرة نقتصر على نصين منها:

(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص١٨٦.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣٤٩.
(٣) أخرجه البخاري- في صحيحه- كتاب الحج- باب قول الله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾، ٢/ ١٣٣، ح١٥٢٣.
(٤) انظر: فتح الباري ٣/ ٣٨٤.

أطلقها وأتوكل؟ قال: اعقلها وتوكل»[1] وهذا الحديث أصل في التوكل، وفيه الأمر باتخاذ الأسباب والاحتراز مع الأمر بالتوكل.

قال ابن حجر: «وقيل هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب كما قال ﷺ: اعقلها وتوكل»[2].

وقال المناوي: «اعقلها أي شد ركبة ناقتك مع ذراعيها بحبل (وتوكل) أي اعتمد على الله وذلك لأن عقلها لا ينافي التوكل»[3].

وقال أبو حيّان التوحيدي معلقًا على الحديث: «قال البقال: معنى هذا أن التوكل مجانب للإهمال والكسل بل هو بعد إعمال الحزم»[4].

(٢) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتعود بطانًا»[5].

والأخذ بالأسباب هو هدي السلف الصالح، فقد كان الصحابة يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم وبهم القدوة[6].

(١) أخرجه الترمذي- في جامعه- ٤/ ٦٦٨، ح٢٥١٧، قال أبو عيسى: وهذا حديث غريب، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي ٦/ ١٧ ح١٥١٧.
(٢) انظر: فتح الباري ٣/ ٣٨٤.
(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير- للمناوي ١/ ٣٥٢، وفيض القدير للمناوي ٢/ ١٠.
(٤) البصائر والذخائر ١/ ٤٠١.
(٥) أخرجه الترمذي- في جامعه- كتا الزهد- باب في التوكل على الله، ٤/ ٥٧٣ ح٢٣٤٤، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح بنحوه.
وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي ٥/ ٣٤٤، وفي صحيح الجامع الصغير ح٩٣٨٥، والسلسلة الصحيحة ١/ ٦٢٠ ح٣١٠.
وأخرجه النسائي- في السنن الكبرى- كتاب الإيمان وشرائعه، ح١١٨٠٥ بلفظ «لو أنكم توكلون على الله- بدون «كنتم» و«لرزقتم» بدل «لرزقكم».
وأخرجه ابن ماجه- في سننه- كتاب الزهد- باب التوكل واليقين، ٢/ ١٣٩٤ ح٤١٦٤. صححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٠٤ ح٤١٥٤ بلفظه.
(٦) شرح الزرقاني على موطأ مالك ٤/ ٣١٣، وفتح الباري ١١/ ٣٠٦.

ومعنى الحديث قال ابن الأثير: «أي تغدو بكرة وهي جياع وتروح عشاء وهي ممتلئة الأجواف»[1].

وسُئل الإمام أحمد عن قوم لا يعملون ويقولون نحن متوكلون، فقال: هؤلاء مبتدعة، قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا[2].

(١) النهاية في غريب الأثر ٢/ ١٥١، وانظر: لسان العرب ٧/ ٢٩.

(٢) انظر: الحث على التجارة للخلال ص١١٢.

المبحث الخامس

أمـور لا تنافي التوكل

تقرر أن الأسباب ركن أصيل في تحقيق التوكل على الله، فلا توكل بدون بذل الأسباب، ولمّا كان ذلك فقد يلتبس على البعض في أمور هي من صميم التوكل يتركها قاصدًا إتمام التوكل وهو بهذا يخالف المراد ويقع في الخطأ، فسأتناول أمورًا نص عليها العلماء أنها لا تنافي التوكل بل هي من صلبه وقد نص عليها رسولنا الكريم ﷺ إما بقوله أو فعله.

قال ابن حجر: «تعاطي الأسباب لا يقدح في التوكل[1].

وقال ابن المنير: «وجه هذه التراجم دفع من يتخيل أن اتخاذ الآلات ينافي التوكل، والحق أن الحذر لا يرد القدر ولكن يضيّق مسالك الوسوسة لما طبع عليه البشر»[2].

ومن هذه الأمـور:

١ - التكسّـب:

فعن المقدام رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحدٌ طعامًا قطّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»[3].

وقال ابن بطال: «أن أفضل الكسب من عمل اليد، ألا ترى أن نبي الله داود كان يأكل من عمل يديه»[4].

وقال ابن المنذر: وإنما فضل عمل اليد على سائر المكاسب إذا نصح العامل بيده.

(١) فتح الباري ١/ ٤٧١، وقال السندي في حاشيته على ابن ماجه ٥/ ٤٣١: «مباشرة الأسباب لا تنافي التوكل».

(٢) فتح الباري ٦/ ٩٤. قال ذلك تعليقا على تراجم البخارى وهى باب من استعان بالضعفاء

(٣) أخرجه البخاري- في صحيحه- كتاب البيوع- باب كسب الرجل وعمله بيده، ٣/ ٥٧ ح٢٠٧٢.

(٤) شرح صحيح البخاري ٦/ ٢١٠.

وقد بيّن السيوطي وغيره سبب التفضيل فقالوا: «لأن فيه إيصال النفع إلى الكاسبَ وإلى غيره، والسلامة عن البطالة المؤدية إلى الفضول وكسر النفس والتعفف عن ذل السؤال»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يحتطب أحدكم حُزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه»[2].

قال المناوي: «فأشار بذلك إلى أن التوكل ليس التبطّل والتعطّل بل لابد فيه من التوصل بنوع من السبب ولهذا قال أحمد: ليس في الحديث ما يدل على ترك الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق.

وقال الشيخ أبو حامد: وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين»[3].

وقال النووي: «ولهذا لم يجعلوا الاكتساب للقوت وعلى العيال قادحًا في التوكل إذا لم يكن ثقته في رزقه باكتسابه وكان مفوضًا في ذلك كله إلى الله تعالى»[4].

٢- الطب والتداوي:

لما سُئل سهل بن سعد الساعدي ﷺ بأي شيء دُووي جرح النبي ﷺ فقال: «ما بقي من الناس أحد أعلم به منّي، كان عليٌّ يجيء بالماء في ترسه وكانت- يعني فاطمة- تغسل الدم عن وجهه فأُخرق ثم حُشي به جرح رسول الله ﷺ»[5].

(١) شرح سنن ابن ماجه ١/ ١٥٥.
(٢) أخرجه البخاري- في صحيحه- كتاب البيوع- باب كسب الرجل وعمله بيده، ٣/ ٥٧ ح٢٠٧٤.
(٣) تحفة الأحوذي ٧/ ٧.
(٤) شرح النووي على مسلم ٣/ ٩١.
(٥) أخرجه البخاري- في صحيحه- باب دواء الجرح بإحراق الحصير وغسل المرأة عن أبيها الدم عن وجهه وحمل الماء في الترس، ٤/ ٦٥ ح٣٠٣٧.

فاتضح من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ تداوى من جراحه، فالتداوي لو كان قادحًا في التوكل لما فعله رسولنا ﷺ، فدل هذا الحديث على مشروعية التداوي، وأن الطب غير قادح في التوكل[1].

وقال العيني رحمه الله: «وفيه أن المداواة لا تنافي التوكل، وفيه إباحة التداوي لأن النبي داوى جرحه»[2].

٣- القراءة على المريض:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ «أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال: نعم، قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك»[3].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «دليل على استحباب الرقية بأسماء الله تعالى وبالعُوَذ الصحيحة المعنى، وأن ذلك لا يناقض التوكل على الله ولا ينقصه، إذ لو كان شيء من ذلك لكان النبي ﷺ أحق الناس بأن يجتنب ذلك، وقد رُقي في أمراضه حتى في مرض موته ﷺ، فقد رقته عائشة ﷺ في مرض موته، ومسحته بيدها وبيده وهو مُقِرّ لذلك، غير منكر لشيء مما هنالك»[4].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وفي هذا الحديث دليل على أن النبي ﷺ كغيره من البشر يصيبه المرض، وفيه أيضًا أن القراءة لا تنافي كمال التوكل بخلاف الذي يطلب من الناس أن يقرءوا عليه ففيه شيء من نقص التوكل لأنه سأل الخلق واعتمد على سؤالهم، فلذلك لا ينافي كمال التوكل إذا كان بغير سؤال»[5].

(١) للاستزادة انظر: فتح الباري ١/ ٣٥٥، وشرح النووي لصحيح مسلم ٣/ ٩١.
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٥/ ١٦٨.
(٣) أخرجه مسلم- في صحيحه- كتاب السلام- باب الطب والمرض والرقى، ٤/ ١٧١٨، ح٢١٨٦.
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١٨/ ٥١.
(٥) شرح رياض الصالحين ١/ ١٠٢٨.

٤- الدعاء برفع الضرر:

حديث أنس بن مالك الطويل في قصة استسقاء النبي ﷺ في الخطبة يوم الجمعة لمّا اشتكى إليه أعرابي فدعا رسول الله ثم أنزل الله المطر، وفي الجمعة التي بعدها قام ذلك الأعرابي واشتكى من آثار المطر فرفع يديه فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا... الحديث»[١].

قال ابن حجر معلقًا على الحديث: «وفيه أن الدعاء برفع الضرر لا ينافي التوكل»[٢].

وقال ابن بطال: «قال المهلب: أن الدعاء يصرف البلاء»[٣].

٥- لبس آلات الحرب في المعركة:

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر[٤] فلما نزعه جاء رجلٌ فقال إنّ ابن خَطَل متعلّق بأستار الكعبة فقال اقتلوه»[٥].

وعنه أيضًا قال: كان أبو طلحة يترس مع النبي ﷺ بِتُرْس واحد وكان أبو طلحة حسن الرّمي»[٦].

(١) أخرجه البخاري- في صحيحه- كتاب الجمعة- باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، ٢/ ١٢ ح٩٣٣ بطوله.

(٢) فتح الباري ٢/ ٥٠٧، وعمدة القاري للعيني ١٠/ ٤٤٨.

(٣) شرح صحيح البخاري ٧/ ٢٨٣.

(٤) قال الأزهري في تهذيب اللغة ٣/ ٧٣: «قلت: أصل الغفر: الستر والتغطية، وغفر الله ذنوبه أي سترها ولم يفضحه بها على رؤوس الملأ، وكل شيء سترته فقد غفرته، ومنه قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس مغفر.

وقال ابن شميل: هي حلق يجعلها الرجل أسفل البيضة تسبغ العنق فتقيه قال: وربما كان المغفر مثل القلنسوة غير أنها أوسع يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدروع ثم تلبس البيضة فوقها فذلك المغفر يرفل على العاتقين».

(٥) أخرجه البخاري- في صحيحه- كتاب الوصايا- باب قتل الأسير وقَتْل الصَّبْر، ٤/ ٦٧ ح٣٠٤٤.

(٦) أخرجه البخاري- في صحيحه- كتاب الوصايا- باب المجن ومن يُترس بترس صاحبه، ٤/ ٣٨ ح٢٩٠٢.

قال النووي رحمه الله: «فيه استحباب لبس البيضة[١] والدروع وغيرها من أسباب التحصن في الحرب وأنه ليس بقادح في التوكل»[٢].

وقال ابن حجر: «أن النبي ﷺ كما لبس الدروع، ونسبه إلى بعض الشجعان من الصحابة فدل على مشروعيته وأن لبسها لا ينافي التوكل»[٣].

وقال أيضًا: «وفيه مشروعية لبس المِغْفر وغيره من آلات السلاح حال الخوف من العدو وأنه لا ينافي التوكل»[٤].

وقال أيضًا: «في هذا الحديث مشروعية اتخاذ الترس في الحرب وأن جميع ذلك لا يقدح في التوكل لصدوره من سيد المتوكلين»[٥].

وقال الطبري: «والحق أن من وثق بالله وأيقن أن قضاءه عليه ماضٍ لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب اتباعًا لسنته وسُنَّة رسوله فقد ظاهر ﷺ في الحرب بين درعين ولبس على رأسه المغفر وأقعد الرماة على فم الشعب وخندق حول المدينة»[٦].

[قلت]: ومما لا ينافي التوكل كذلك الادّخار وحمل الأزواد في الأسفار واستصحاب آلة السفر وغيرها وفيما ذُكر الكفاية بإذن الله.

(١) قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الأثر» ٥/ ٦٠٨: «البيضة الخوذة».

(٢) شرح النووي ومسلم ١٢/ ١٤٨.

(٣) فتح الباري ٦/ ٩٩.

(٤) السابق ٤/ ٦٢.

(٥) السابق ١/ ٣٥٥ بتصرف.

(٦) السابق ١٠/ ٢١٢.

المبحث السادس

ثمرات التوكل

(١) تحقيق الإيمان، حيث لا إيمان إلا بتوكل كما لا توكل إلا بإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

(٢) طمأنينة النفس وارتياح القلب، فإذا توكل العبد على الله حق توكله كفاه الله همّه، وأراحه مما أهمّه، وأنزل عليه سكينته، فاطمأن إلى حكمه الشرعي واطمأن إلى حكمه الكوني القدري ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

(٣) كفاية الله للمتوكل جميع شؤونه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] أي كافيه.

(٤) من أقوى الأسباب فيجلب المنافع ودفع المضار.

(٥) يورث محبة الله تعالى للعبد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(٦) يورث الصبر والتحمل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤١-٤٢].

(٧) يورث النصر والتمكين، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

(٨) يقي من تسلط الشيطان، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٨-٩٩].

(٩) يورث الرزق، قال تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ

فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وما جاء عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله...».

(١٠) سبب في دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب، كما في الحديث الطويل عن الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب جاء في صفاتهم «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»[1].

قلت: تلك عشرة كاملة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وهذه الثمرات كل ثمرة منها تجعل المسلم يحرص على هذا الخُلُق العظيم ألا وهو التوكل.

(١) أخرجه البخاري- في صحيحه- كتاب الطب- باب من اكتوى أو كوى غيره، ٧/ ١٢٦، ح٥٧٠٥، وأيضاً ح٥٧٥٢ و٦٤٧٢ و٦٥٤١.

الفصل الثاني

تطبيقات عملية لمقام التوكل على الله

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول : حث الرسول صلى الله عليه وسلم على التوكل.

المبحث الثاني : صور من توكله ﷺ.

المبحث الثالث : صور من توكل الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الرابع : صور من توكل الصحابة رضوان الله عليهم.

المبحث الخامس: اهتمام السلف الصالح بالتوكل على الله.

تمهيد:

عندما جمعت مادة هذا البحث وقفت على تطبيقات وصور حيّة من حياة رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم تترجم هذه الآيات والأحاديث النبوية الشريفة ترجمة واقعية، فينبغي لكل مسلم أن يقتفي أثره ويصدق في محبته وذلك باتباعه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقوله جل شأنه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فحياته ﷺ قائمة على توكله واعتماده على خالقه جل وعلا منذ بدأ الوحي مرورًا بدعوته السرية في مكة ومكوثه فيها ثلاث عشرة سنة ثم هجرته التي برز توكله فيها بروزًا منقطع النظير، وبعدها باقي حياته التي قضاها معلمًا وداعية ومجاهدًا إلى أن قبض الله روحه الشريفة وهو متوكل على خالقه معتمدٌ عليه في جميع شؤونه.

وقد قسمت هذا الفصل على مباحث، فأقول والله المستعان وعليه التكلان.

المبحث الأول

حثه ﷺ على التوكل

ثبت عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير»[1].

قال النووي: «المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف من شدة خوفهم وقيل المراد متوكلون»[2].

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»[3].

قال ابن حجر: «استعمل لفظ الآية ترجمة لتضمنها الترغيب في التوكل»[4].

وقال المهلب: «وفي حديث الخشبة[5] أن من صح منه التوكل على الله فإن الله ﷻ قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] فالذي نقر الخشبة توكل على الله ووثق به في تبليغها وحفظها، والذي سلفه وطلب الكفيل صح منه أيضًا التوكيل، لأنه قنع بالله كفيلاً وحميلاً فوصل إليه ماله»[6].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم كنتم توكلون

(١) أخرجه مسلم- في صحيحه- كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، ٤/ ٢١٨٣ ح ٢٨٤٠.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٧/ ١٧٧، وانظر: الديباج على مسلم للسيوطي ٦/ ١٨٦.

(٣) أخرجه البخاري- في صحيحه- كتاب الرقاق- باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ٨/ ١٠٠ ح٦٤٧٢.

(٤) فتح الباري ١١/ ٣٠٥.

(٥) أخرجه البخاري- في صحيحه- كتاب السلم- باب الكفالة في القرض، ٣/ ٩٥ ح٢٢٩١.

(٦) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/ ٤٢٣.

على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانا»[1]، وقد تقدم الكلام عليه.

فهذه الأحاديث فيها الحث على التوكل وبيان فضله ومكانته، فيجب على المسلم الاجتهاد في تحصيل هذا المقام العظيم.

(١) سبق تخريجه.

المبحث الثاني

صور من توكله ﷺ

المتأمل والمتفحص لسيرة نبينا ﷺ يجد أنها قائمة على أصل التوكل كما سبق بيانه في المقدمة، وسأدلل على ذلك ببعض الصور؛ لأن المقصود ضرب الأمثلة وليس الاستقصاء والحصر.

وقد ذكرت في (المبحث الخامس في الفصل الأول) أمور لا تنافي التوكل[1] أمثلة كثيرة وسأزيد عليها هنا:

١- في قصة الإسراء قال ﷺ: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط به الأنبياء صلوات الله عليهم»[2].

قال النووي رحمه الله: «وفي ربط البراق الأخذ بالاحتياط في الأمور وتعاطي الأسباب وأن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى»[3].

٢- قصة الهجرة:

تجلّت بصورة واضحة توكله ﷺ وذلك من عدة نواحي أهمها: اتخاذ الراحلة، والصاحب في السفر وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم سخّر الصدّيق أهل بيته لخدمة الرسول ﷺ في الهجرة، لكن سأقف مع موقف عظيم يحكيه الصدّيق رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار لو أنّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»[4].

---

(١) سبق في المبحث الخامس في الفصل الأول من هذا البحث.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، ١/ ١٥٠ ح١٦٤.

(٣) شرح النووي على مسلم ٢/ ٢١١.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه- باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر، ٥/ ٤ ح٣٦٥٣. =

قال ابن الجوزي رحمه الله: «وفي هذا الحديث ما يدل على جواز الهرب من الخوف والتمسك بالأسباب خلافًا للجهال من المتزهدين الذين يزعمون أن التوكل رفض الأسباب وإنما التوكل فعل القلب لإنزال السبب وقد قال ﷻ: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ فلو كان التوكل ترك السبب لما قال ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾. وقوله ما ظنك باثنين الله ثالثهما أي بالنصرة والإعانة أفتظن أن يخذلهما فرده من النظر إلى الأسباب إلى المسبّب»[1].

٣- استعداده للغزوات بالعدة والعتاد والرجال:

وهذا ظاهر جدًا، فالرسول ﷺ كان يتجهز ويبذل قصارى جهده بل كان يلبس آلات الحرب كالمغفر والدرع والترس وغيرها، وقد سبق الكلام عليها.

٤- قصته مع الأعرابي الذي أراد قتله وهو نائم:

وهذه القصة حدّث بها جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبر أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد... فقال إنّ هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثًا ولم يعاقبه وجلس»[2].

وسأكتفي بهذه الأمثلة وأحببت أن أختم بكلام جميل وهو جامع ومفيد للإمام الطبري حيث قال: «فقد ظاهر ﷺ في الحرب بين درعين ولبس على رأسه المغفر وأقعد الرماة على فم الشعب وخندق حول المدينة وأذن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة وهاجر هو وتعاطى أسباب الأكل والشرب وادّخر لأهله قوتهم ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك وقال للذي سأله أعقل ناقتي أو أدعها قال اعقلها وتوكل فأشار إلى أن الاحتراز لا يدفع التوكل والله أعلم»[3].

وأخرجه مسلم في صحيحه- كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ٤/ ١٨٥٤ ح٢٣٨١.

(١) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، ١/ ٣ ح٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الوصايا- باب من علّق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، ٤/ ٣٩ ح٢٩١٠.

(٣) فتح الباري ١٠/ ٢١٢.

المبحث الثالث

صور من توكل الأنبياء عليهم السلام

الأنبياء عليهم السلام هم القدوة والأسوة في التوكل والله سبحانه بيَّن ذلك في كتابه وأوضحها رسولنا في سنته، لذلك سأختار أهم الصور في نظري التي بها يتجلى مقام التوكل، والله الموفق.

١- إبراهيم عليه السلام:

حياته كلها قائمة على التوكل والاعتماد على الله، وحسن الظن به والثقة بموعوده، فعندما أتذكر دعوته لأبيه وشفقته عليه ونصحه له ثم يقابله بالتعنيف والتهديد مع ذلك لم يكتف بالدعاء له فقط بل اجتهد في هدايته ودعوته ودعوة قومه، ثم تبرز أمامي صورة جلية واضحة لما كسّر الأصنام وأرادوا قتله حرقًا ورميًا بالنار ثم أتاه جبريل فقال: هل لك بي حاجة؟ فقال مقولة الرجل المتوكل: أمّا إليك فلا، أما إلى الله فحسبنا الله ونعم الوكيل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار»[1].

وأقف والله متعجبًا ومندهشًا من استجابته لأمر الله تعالى في ترك زوجته هاجر وابنها إسماعيل الرضيع بوادٍ غير ذي زرع ثم انصرف فنادته هاجر زوجته يا إبراهيم إلى من تكلنا، فلم يتلفت إليها، فقالت بكل قوة إيمانية الله أمرك بهذا، قال: نعم، فقالت المؤمنة الصادقة المتوكلة: إذًا لا يضيعنا الله[2].

يا الله يا له من موقف من امرأة مؤمنة علّمت كل من جاء بعدها معنى التوكل الحقيقي.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب تفسير القرآن- باب «أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم» ٦/ ٣٩ ح٤٥٦٣.

(٢) الحديث بطوله أخرجه البخاري في صحيحه، ٤/ ١٤٢ ح٣٣٦٤.

فمن صدق في توكله فالله حافظه ومؤيده وناصره.

٢- موسى عليه السلام:

سأقتصر على موقف عظيم لمّا خرج موسى عليه السلام هاربًا من فرعون ومعه بنو إسرائيل حتى وقفوا على البحر في هذه اللحظة العصيبة ولك أن تتخيّلها وتعيشها، الطاغية وجنوده الظلمة خلفهم وقد أوشكوا أن ينالوا منهم ويبطشوا بهم، وموسى وقومه المستضعفون هاربون أوقفهم البحر فلا طريق ولا سبيل متاح لهم فقالوا في هلع وخوف: يا موسى إنا لمدركون، فردّ عليهم على الفور بكل ثقة ويقين وصدق في التوكل ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] إلى النجاة قد ودعدنى ذلك ولا خلف لموعده[1].

فنجاه الله ومن معه وأغرق فرعون وجنده.

٣- داود عليه السلام:

تقدم ذكر حديث المقدام رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»[2].

قال ابن حجر: «والذي كان يعمله داود بيده هو نسج الدروع وألان :الله له الحديد فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع كونه من كبار الملوك»[3].

٤- لـوط عليه السلام:

تجلى توكله واعتماده على الله لما ابتلاه قومه في أضيافه فقال لهم: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٧١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتح الباري ٦/ ٤٥٥.

المبحث الرابع

صور من توكل الصحابة رضوان الله عليهم

الصحابة تخرجوا من مدرسة النبوة وترجموا تعاليمه إلى نماذج تطبيقية فهم تربوا تحت كنف رسولنا الكريم وجمعوا بين رؤية القدوة العملية وهو الرسول ﷺ وبين نصوص الكتاب والسُّنَّة فامتزجت في حياتهم وصارت منهجًا يسيرون عليه في طريقهم إلى الله.

وسأدلل على ذلك ببعض الأمثلة التي توضح المقصود.

- **توكل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:**

عن يحيى بن مرة قال: كان علي رضي الله عنه يخرج بالليل إلى المسجد يصلي تطوعًا، فجئنا نحرسه، فلما فرغ أتانا فقال: ما يجلسكم؟ قلنا: نحرسك، فقال: أَمِن أهل السماء تحرسون أم من أهل الأرض؟ قلنا: بل من أهل الأرض، قال: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يُقْضى في السماء وليس من أحد إلا وقد وُكّل به ملكان يدفعان عنه ويكلآنه حتى يجيء قدره فإذا جاء قدره خَلّيا بينه وبين قدره، وإن عَليّ من الله جُنّة حصينة فإذا جاء أجلي كشف عَنّي، وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه[1].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: عُرِض لعلي رضي الله عنه رجلان في حكومة، فجلس في أصل جدار فقال رجل: يا أمير المؤمنين، الجدار يقع، فقال علي: امضِ كفى بالله حارسًا فقضى بينهما وقام ثم سقط الجدار[2].

وقال علي رضي الله عنه: لكل عبد حفظة يحفظونه لا يخر عليه حائط أو يتردى في بئر أو تصيبه دابة، حتى إذا جاء القدر الذي قدر له، خلّت عنه الحفظة، فأصابه ما شاء الله أن

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ١٢٤ ح٢٠٠٩٦، وفي كنز العمال للهندي ١/ ٣٤٧ ح١٥٦٤.

(٢) الدلائل لأبي نعيم ص٢١١.

قال ﷺ: «يغفر الله لِلُوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد»[1].

قال ابن قتيبة: «فإنه أراد قوله لقومه ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ وفي الوقت الذي ضاق فيه صدره واشتد جزعه بما دهمه من قومه، وهو يأوي إلى الله تعالى أشد أركان، قالوا: فما بعث الله تعالى نبيًا بعد لوط إلا في ثروة قومه.

قال غير ابن قتيبة: ولا يخرج هذا لوطًا من صفات المتوكلين على الله الواثقين بتأييده ونصره، فكان ظاهر قول لوط كأنه خارج عن التوكل وإن كان مقصده مقصد المتوكل فنبّه النبي على ظاهر قول لوط تنبيه على ظاهر قول إبراهيم وإن كان مقصده غير الشك لأنهم كانوا صفوة الله المخصوصين بغاية الكرامة»[2].

(وسأختم هذا المبحث بكلام وقفت عليه يلملم شتات هذا المبحث) وهو من قول رسولنا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم قال: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت، فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[3].

قال ابن حجر: «قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرّن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم من الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها ألفوا من ذلك الصبر على الأمة»[4].

وقال ابن بطال رحمه الله: «والله أعلم أن ذلك توطئة وتقدمة في تعريفه سياسة العباد وهذه حكمة بالغة»[5].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب التفسير- باب «ولوطًا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة»، ٤/ ١٤٨ ح٣٣٧٥.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٥٢٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب السلم- باب رعي الغنم على قراريط، ٣/ ٨٨ ح٢٢٦٢.

(٤) فتح الباري ٤/ ٤٤١ باختصار.

(٥) شرح صحيح البخاري ٦/ ٣٨٦ بتصرف.

يصيبه[1].

- **توكل عبد الله بن مسعود ﷺ:**

أخرج ابن عساكر عن أبي ظبية قال: مرض عبد الله ﷺ مرضه الذي توفي فيه فعاده عثمان بن عفان ﷺ فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه[2].

- **توكل أبو بكر الصديق ﷺ:**

عن أبي السفر قال: دخل على أبي بكر ﷺ ناس يعودونه في مرضه، فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ ألا ندعو لك طبيبًا ينظر إليك؟ قال: قد نظر إليّ قالوا: فماذا قال لك؟ قَالَ قال: إني فعال لما أريد[3].

- **أقوال بعض الصحابة:**

قال عمر بن الخطاب ﷺ: ما أبالي على أي حال أصبحت على ما أحبّ أو على ما أكره لأني لا أدري الخير في ما أحب أو في ما أكره[4].

وقال علي ﷺ: لما قيل له إن أبا ذر ﷺ يقول: الفقر أحبّ إلي من الغنى والسقم أحب إليّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتّكل على حسن اختيار الله له لم يتمنّ أنه في غير الحالة التي اختار الله له[5].

وقال عليّ: من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له أجر، ومن لم يرضَ بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله[6].

(١) انظر: كنز العمال ١/ ٣٤٧ ح١٥٦٢.
(٢) تاريخ دمشق ٣٣/ ١٨٤.
(٣) أسد الغابة ١/ ٦٤٦، وتاريخ دمشق ٣٠/ ٤١٠.
(٤) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا ص١٤، والزهد للإمام ابن المبارك ص١٤٣.
(٥) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٥٣.
(٦) السابق ٤٠/ ٩٤.

قال الحسن: لزم رجل باب عمر فكان عمر كلما خرج رآه بالباب فقال له يومًا انطلق واقرأ القرآن فإنه يغنيك عن باب عمر فانطلق الرجل فقرأ القرآن وفقده عمر فجعل يطلبه إذْ رآه يومًا فقال يا فلان لقد فقدناك فما الذي حبسك عنّا؟ قال: يا أمير المؤمنين أمرتني أن أقرأ القرآن فقرأته فأغناني عن باب عمر، فقال: وما قرأت؟ قال: (ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب) فقال عمر: فقه الرجل»[1].

(١) الزهد لابن المبارك ص٣٣.

المبحث الخامس

اهتمام السلف الصالح بالتوكل على الله

قال أبو حاتم: «الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفل بالأرزاق إذ التوكل هو نظام الإيمان وقرين التوحيد وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر ووجود الراحة، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جل وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده إلا لم يكِلْه إلى عباده وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب.

وأنشدني منصور الكريزي:

توكل على الرحمن في كل حاجة ... أردت فإن الله يقضي ويقدر
متى ما يرد ذو العرش أمرًا بعبده ... يصبه وما للعبد ما يتخير
وقد يهلك الإنسان من وجه أمنه ... وينجو بإذن الله من حيث يحذر»[1]

ووقفت على وصيّة لقمان الحكيم لابنه حيث قال: «أي بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه ناس كثير فاجعل سفينتك فيها تقوى الله ﷻ، وحشوها الإيمان بالله ﷻ وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو ولا أراك ناجيًا»[2].

وكان طلق بن حبيب يقول: «أسألك خوف العالمين بك، وعلم الخائفين لك، وتوكل المؤمنين بك، ويقين المتوكلين عليك، وإنابة المخبتين إليك، وإخبات المنيبين إليك، وصبر الشاكرين لك، وشكر الصابرين لك، وإلحاقًا بالأحياء المرزوقين عندك»[3].

وقال بعض الحكماء: «التوكل على ثلاث درجات: أولاها ترك الشكاية، والثانية الرضا، والثالثة المحبة، فترك الشكاية درجة الصبر، والرضا سكون القلب بما قسم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به، فالأولى

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان ص١٥٣.
(٢) الزهد للإمام الطبري ص١٠٤، والزهد لابن المبارك ص١٩٠، والدعاء للطبراني، ص٤٩٣.
(٣) التوكل على الله لابن أبي الدنيا، ص٣٥.

للزاهدين، والثانية للصادقين، والثالثة للمرسلين»[1].

قال أبو فروة: «من أجمع التوكل عليه كفاه ما همّه، وساق الرزق والخير له، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾»[2].

وجاء رجل إلى وهب بن منبه فقال: علمني شيئًا ينفعني الله به، قال: «أكثر من ذكر الموت، وأقصر أملك، وخصلة ثالثة إن أنت أصبتها بلغت الغاية القصوى وظفرت بالعبادة قال: ما هي؟ قال: التوكل»[3].

وقال الأصبهاني[4]:

لي في التوكل مذهب ... لا أستطيع له خلافا
أرجو القوي ولست أرجو ... من بني الدنيا ضعافا
ما لي رجاءٌ في سواه ... إذا الزمان عليّ حافا
إني جعلت توكلي ... أمني إذا ما القلب خافا

قيل لحاتم الأصم: على ما بنيت أمرك في التوكل؟ قال: على أربعة خصال: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتي بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله فأنا مستحي منه[5].

وقال محمد بن عبد الله الفرغاني: التوكل باللسان يورث الدعوى، والتوكل بالقلب يورث المعنى[6].

قال الحسن: إن العز والغنى يجولان في طلب التوكل فإذا ظفرت أوطنا وأنشد:

يجول الغنى والعز في كل موطنٍ ... ليستوطنا قلب امرئ إن توكلا

(١) التوكل على الله لابن أبي الدنيا، ص٤٨.
(٢) السابق، ص٥٦.
(٣) السابق، ص٦٠.
(٤) خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصبهاني، ص٤٥٦.
(٥) سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٨٥.
(٦) تاريخ بغداد ٥/ ٤٥٠.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، على ما وفق إليه وهدى، فما كان من صواب فمنه ﷻ وحده، وما كان من خطأ وسهو وزلل فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان.

بعد هذا التطواف مع فصول هذا الموضوع الحيوي المهم وعند حط عصا الرحال يحسن بنا أن نشير إلى بعض النتائج التي ظهرت في ثنايا البحث، ومن أهمها:

١- أن التوكل على الله يعتبر أعلى المقامات من أعمال القلوب التي هي أصل الإيمان.

٢- أن التوكل هو الحال الذي يجمع بين علم القلب وعمله.

٣- أن التوكل مقترن بالإيمان، فلا إيمان بلا توكل، ولا توكل بلا إيمان.

٤- لا يمكن للعبد الاستغناء عن التوكل طرفة عين.

٥- من يتوكل على الله فهو حسبه، وناصره ومؤيده.

٦- الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص في العقل.

٧- تعاطي الأسباب المباحة لا ينافي التوكل.

٨- حري بالمسلم أن يربي نفسه وأبناءه على التوكل على الله لأهميته.

٩- كلما قوي إيمان المسلم بان أثره على صاحبه فيقوى توكله على الله والعكس بالعكس.

١٠- رسولنا ﷺ ترجم تعاليم الكتاب والسُّنَّة ترجمة عملية، فجيب على المسلم أن يكون متبعًا لهديه مستنًا بسنته خصوصًا في توكله.

١١- بيان جهل من ادّعى التوكل على الله وأهمل الأخذ بالأسباب بل اعتقد بوجوب ترك الأسباب.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إحياء علوم الدين (ومعه تخريج الحافظ العراقي)- للإمام أبي حامد الغزالي، دار الشعب.

٣- البحر المديد- لأحمد بن محمد الفاسي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٤- البصائر والذخائر- لأبي حيان التوحيدي.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس- لمحمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٦- تاريخ بغداد- لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٧- تاريخ مدينة دمشق- للإمام أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبي سعيد العمروي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٨- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي- لمحمد عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر.

٩- تفسير ابن أبي حاتم- للإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية- صيدا.

١٠- تفسير القرآن العظيم- لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١١- التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب- د. عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٢- التوكل على الله- لأبي بكر عبد الله بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٣- تيسير العزيز الرحمن في شرح كتاب التوحيد- لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: أسامة بن عثمان العتيبي، دار الصميعي- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٥- التيسير بشرح الجامع الصغير- للإمام زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي- الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٦- جامع البيان في تأويل القرآن- لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٧- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)- لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٨- جامع العلوم والحكم- لابن رجب الحنبلي، دار المعرفة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٩- الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٠- حاشية السندي على ابن ماجه- لمحمد بن عبد الهادي السندي.

٢١- الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدّعي التوكل في ترك العمل- لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، دار العاصمة- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- لأبي نعيم أحمد الأصبهاني، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٢٣- خريدة القصر وجريدة العصر- للإمام العماد الأصبهاني.

٢٤- الدعاء- للإمام سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٢٥- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج- للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٦- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء- لمحمد بن حبان البستي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٢٧- الزهد- للإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٨- الزهد- للإمام عبد الله بن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٩- السلسلة الصحيحة- للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض.

٣٠- سنن ابن ماجه- للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٣١- سنن أبي داود- لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، بيت الأفكار الدولية.

٣٢- السنن الكبرى- للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣٣- سنن النسائي- للإمام أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٤- سير أعلام النبلاء- للإمام الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة.
٣٥- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك- لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة ١٤١١هـ.
٣٦- شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
٣٧- شرح صحيح البخاري- لأبي الحسن علي بن خلف بن بطال القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
٣٨- شرح صحيح مسلم للنووي، دار القلم.
٣٩- صحيح سنن ابن ماجه- للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
٤٠- صحيح سنن الترمذي- للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
٤١- طريق الهجرتين وباب السعادتين- لابن القيم، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
٤٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري- للإمام بدر الدين العيني، ضبطه وصححه: عبد الله محمود- محمد عمر، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٤٣- فتح الباري- لابن حجر، دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩هـ.
٤٤- الفرج بعد الشدة- لابن أبي الدنيا، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٤٥- فيض القدير بشرح الجامع الصغير- للإمام عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة- بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

٤٦- كشف المشكل من حيث الصحيحين- لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: د. علي حسين التواب، دار الوطن- الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٤٧- الكلمات النافعة- للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٩٣هـ.
٤٨- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال- لعلاء الدين علي بن حسام الهندي، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٤٩- لسان العرب- لمحمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى.
٥٠- مجموع الفتاوى- لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم وابنه، طبعة وزارة الأوقاف السعودية، ١٤١٦هـ.
٥١- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٥٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
٥٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح- للملا علي القاري.
٥٤- مصنف ابن أبي شيبة- لأبي عبد الله محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٥٥- المصنف- للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.
٥٦- المفردات في غريب القرآن- للراغب الأصفهاني، دار المعرفة، ضبطه: محمد خليل عيتاني، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.
٥٧- النهاية في غريب الحديث والأثر- لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري،

تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥٨- الوابل الصيب من الكلم الطيب- لابن القيم، تحقيق: محمد عوض، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥١٧
أهمية الموضوع ٥١٩
سبب اختيار الموضوع ٥١٩
الجديد الذي سأضيفه ٥٢٠
منهج البحث ٥٢٠
حدود البحث ٥٢٠
خطة البحث ٥٢١
الفصل الأول: التوكل وما يتعلق به ٥٢٣
المبحث الأول: تعريف التوكل وبيان حقيقته ومنزلته ٥٢٤
المبحث الثاني: أهمية التوكل ٥٢٩
المبحث الثالث: أقسام التوكل ٥٣٣
المبحث الرابع: الأسباب وعلاقتها بالتوكل ٥٣٥
المبحث الخامس: أمور لا تنافي التوكل ٥٣٩
المبحث السادس: ثمرات التوكل ٥٤٤
الفصل الثاني: تطبيقات عملية لمقام التوكل على الله ٥٤٦
المبحث الأول: حثه ﷺ على التوكل ٥٤٨
المبحث الثاني: صور من توكله ﷺ ٥٥٠
المبحث الثالث: صور من توكل الأنبياء عليهم السلام ٥٥٢
المبحث الرابع: صور من توكل الصحابة رضوان الله عليهم ٥٥٥

المبحث الخامس: اهتمام السلف الصالح بالتوكل على الله..... ٥٥٨
الخاتمة ٥٦٠
المراجع ٥٦١

***